

«نساء في صراع» (Women in Struggle)

# عندما تخفق الثورة في صنع الإنسان الجديد



فبعض الأسير  
محررين مثلها  
مختلفة وقد  
هؤلاء الرجال  
التي عشنها  
جل همهن الا  
والمطالبة بتح  
إحداهن.  
وقد نجح  
بخيوط الموض  
في المباشرة و  
تمسك بالمتفر  
مناضلات عاش  
وتحرير الوطن  
الواقع : «كنت  
أعرف أن ذلك  
أغير شكل هذا  
السجن، لقد خر  
إحدى الأسيرات  
الفيلم عبا  
صادقة هي نسي  
ولأول مرة يص  
هشاشته وض  
موضوعية أمس  
السقوط في العوا  
تصور مشهد تع

الجزائرية» لجميل سلاني لكن الجديد فيه هو نبذة الصراحة الشديدة والنقد الذاتي المؤلم. فالأسيرات المحررات، رغم هالة البطولة المحيطة بهن، فئة مهمشة داخل المجتمع الفلسطيني ذاته رغم الثمن المدفوع. فبعيدا عن أي تأثيرات سياسية تساءل الفيلم حول الدوافع التي أقحمت هاته الأسيرات في المعركة ضد الاحتلال، عن ممارستهن للعنف إزاء العدو وما تثيره فيهن آثار القنابل والمتفجرات، كما طرق موضوعا مسكوتا عنه يتعلق بالتعذيب النفسي والجنسي قبل أن يتناول بإسهاب الفشل النفسي الذي كان في انتظار الأسيرات خارج أبواب السجن. قبل أن ينتهي الفيلم بمشهد جدار الفصل العنصري الذي يهدد بجعل الوطن سجنا كبيرا، ويجعل الفلسطينيين أسرى خلف أسلاكه وبواباته التي يتحكم فيها الجندي هذه المرة، لا السجنان.

هذه المساحة من المسكوت عنه التي باحت بها الأسيرات، أثارنا حرجا لدى بعض النقاد وبعض المتفرجين، وكان على الأسيرات أن تقتصرن كلامهن عن التضحية والثورة فقط، وألا تنمادين إلى الحديث عن حياتهن الجنسية المهذورة وعجزهن عن التواصل مع المجتمع، وأن تضعن جدارا نهائيا بينهن وبين الصور المرعبة التي تقض مضاجعهن: محاولات الاغتصاب بالعصا، الاعتداء على حرمة الجسد وحرمة الروح (تتحدث أسيرة عن تعريتها والطلب من والدها، تحت السلاح، مضاجعتها)، كما تتحدثن عن حالات تزوجت فيها مسيحيات من مسلمين، وعن المعاناة الاجتماعية المترتبة عن ذلك.

فلسطين، رسمية عودة عام 1969. وتعرضت عائشة إلى التعذيب والاعتصاب وعرضها عارية على رفاقها. وشاهدت مصرع أحد رفاقها أثناء التعذيب وكذلك كانت شاهدة على التعذيب الشديد الذي تعرضت له رسمية عودة ويعقوب عودة وآخرين ممن شارك في التنفيذ والتخطيط للعملية الثورية. تلك العملية كانت وسيلة من وسائل النضال من أجل الحرية لكن عائشة: «لا يفرحها أن تتسبب في موت أي كان، لكن هذه هي طبيعة الصراع من أجل الحرية».

وروت رسمية عودة أن الضرب وعرضها عارية على رفاقها ولا كل وسائل التعذيب لم تنل منها بقدر ما عذبتها «إحضار والدها لمشاهدتها عارية وتلك كانت أكبر إهانة لها». ومن جهتها تروي روضة البصير قصة انتقالها إلى القدس وهي طفلة بعد أن وقعت قريتها تحت الاحتلال، وكانت رفيقاتها اللواتي حكم عليهن بالسجن المؤبد قد أفرج عنهن بعد 10 سنوات في مبادلة اسرائيلي كان أسيرا لدى المقاومة الفلسطينية في لبنان عام 1979، وكانت أسعد حظا من رفيقتيها فقد تزوجت وتبنت طفلا في حين أدى التعذيب الذي تعرضت له عائشة عودة ورسمية عودة إلى العجز عن الأمومة.

إن الفيلم باختصار شهادة أربع أسيرات محررات عايشن التحقيق والتعذيب والاعتقال والعودة المتأخرة من جديد إلى المجتمع والتفاعل معه ومحاوله الاندماج فيه من جديد، وهو شبيه بالفيلم التسجيلي الجزائري «سيدة الحرب

تصعد بثينة كنعان خوري إلى منصة مهرجان الإسماعيلية مرتين تحت التصفيق الحار، مرة لاستلام شهادة تنويه لجنة تحكيم المسابقة الدولية لفيلمها «نساء في صراع» ومرة أخرى لاستلام جائزة «حسام علي» للفيلم التسجيلي العربي القصير التي منحتها إيها لجنة تحكيم جماعة السينمائيين التسجيليين المصريين.

ولعل أهم سمة يمكن أن تلتصق بهذه المخرجة الفلسطينية الشابة هي الجرأة، مما جعلها تتميز عن قريئاتها وتخط لنفسها أسلوبا خاصا. فالثورة بالنسبة لها ليست أبدا ذلك الحلم الوردي الهلامي، إنها التناقضات اليومية التي يعيشها الفلسطينيون مع العدو الاسرائيلي ومع بعضهم البعض. إنها الألم الإنساني المسكوت عنه، إنها الشجاعة التي تفوق حدود احتمال الجسد ثم هي بعد هذا وذاك الجرأة في البوح بالأشياء، وتسميتها قصد التخلص منها.

تخرج بطلات بثينة خوري من سجون الاحتلال، وقد جمدت طموحاتهن وأحلامهن. فالزمن قد تسرب منهن ليجدن أن العمر قد بدأ يمر وأحلام الثورة لم تتحقق بعد، تسير هاته النسوة في شوارع رام الله وشوارع القدس وكأنهن غريبات لا يربطهن بهذا المجتمع شيء، لا الشكل ولا الزي ولا القيم أيضا. نساء من عصر آخر نذرن أنفسهن للثورة وللتغيير فأصبحن يحرصن فقط على ألا يطالهن التشويه.

كانت عائشة عودة تشكل الراوي والشخصية الرئيسية في الفيلم، اعتقلت ورفيقتها في الجبهة الشعبية لتحرير

ة فريد  
سينما

